اسعد باشا — يستحيل ان يعاقب احد في عهد الدستور وهو غير مذنب . ولا يحكم على احد الاَّ بعد التحقيق الدقيق

ودامت هذه المقابلة بضع دقائق على اهميتها مثل كثير من الحوادث التاريخية المهمة . وآخر صوت سمعهُ الوفد وهو خارج صوت بكاء عبد الرحمن افندي ابن السلطان . فانتهى امر عبد الحميد بحكم الشريعة التي امتعان بها على الغاء الدستور ستأتي البقية

ستد واقوال العظماء فيهِ

جاءتنا مجلة المجلات الانكليزية وفيها اقوال بعض عظماء الانكليز في فقيدهم فقيد الحرية والفضيلة المستر ستد مصدِّرة بمقالة التيمس التي اقتطفنا اكثرها في الشهر الماضي ونتلوها اقوال جماعة من المشاهير الذين كانوا يعرفونهُ حق المعرفة وهم لورد ملنر الذي كان وكيل المالية المصرية ثم صار حاكم جنوبي افريقية وكان في شبابهِ مساعداً لستد في تحرير جريدة البال مال . ولورد اشر من اعضاء لجنة الدفاع الامبراطوري ولورد غراي الذي كان حاكم كندا العام ولورد فشر اميرال البحرية الانكليز والسر في ستروتغ محافظ لندن السابق والمستر كارنجي المثري الشهير وغيرهم من العظماء فاقتطفنا منها ما يلي

قال لورد ملنر مخاطباً ابن المستر ستد — لا جريدة في ما اعلم كان لها من الشأن في المسائل الدولية كما كان لجريدة البال مال في السنة الاولى التي تولى والدك تحريرها . والفضل في ذلك لهُ وحدهُ اما انا فكنت مساعداً لهُ بالاسم ولم يكن لي اقل شأن في سياسة الجريدة وآرائها لانهُ لا قوة في الارض كانت تمنع اباك من ان يتولى كل عمل بنفسهِ ويدير كل شيء بيدهِ وقد كنت معهُ على تمام الوفاق ولكن لم يكن شأننا مع الغير كذلك لان الخطة التي سار فيها اقامت علينا الخصوم من كل ناحية . ولم تبالِ لاننا كنا كلانا في مقتبل الشباب متقدين غيرة على بلادنا وامتنا نتوخى ان تجعل الحكومة تطرح سياسة المطل والتسويف وتقوم بما يطلب منها من اصلاح شؤون الجمهور بالهمة والنشاط وكنا متفقين في المقاصد والاغراض ولو اختلفنا كثيراً في الوسائل المؤدية اليها . وكان ابوك يقول — اني من اهل النظر فلا اصلح للصحافة ولكنني لازم لهُ لابقيهُ ضمن حدود الاعتدال . وكان يذاكرني في كل امر ولكنهُ لم يفعل برأيي قط وكل ما كنت استطيع فعلهُ احياناً ولو تحت خطر فصم عرى الصداقة بيننا حذفُ كلمة تجاوزت الحد في الغلو

وكان ميَّالاً بالطبع الى الجدال فيستهدف للانتقاد ثم يحمل على المنتقد حملات الجبابرة فيناظرهُ ويناضلهُ الى ما شاء الله . وكثيراً ما كان يجادل الذين يكثرونهُ والطبَّاعون يطلبون النسخ منهُ الى ان لا يبقى معهُ الاَّ نصف ساعة لكتابة مقالة انتاجية فيكتبها بسرعة البرق ويضمنها زبدة ما جرى الجدال فيهِ من المواضيع مفصلةً احسن تفصيل

وفضول متي ان اصف مقدرتهُ في الانشاء لانها اشهر من ان توصف ولكنهُ كان في الحديث امهر منهُ في الانشاء واخلب للقلوب . ولا اظن ان احداً من محرري الجرائد فاقهُ في محبة اعوانهِ لهُ من وكيلهِ الى اصغر ولد في ادارة الجريدة ومطبعتها . فانهُ مع كل حدتهِ وسوقهِ للعمال سوقاً كان يجعل اوامرهُ مطاعةً عن طيب نفسٍ بما أُعطي من ظلافة الوجه وفكاهة الحديث وحسن الحاضرة والهزل والمزاح . وكان يأسر كل من يدنو منهُ بلطفهِ وانسهِ وكرم اخلاقهِ

وزد على ذلك انهُ كان شجاعاً لا يهاب احداً . ولو اعطي في ذلك الوقت من اصابة الرأي بمقدار ما اعطي من سائر القوى العقلية لما استطاع احد ان يقف امامهُ

وقد كان من حظي التردُّد على بيتهِ في تلك الآونة فكنت اجد فيهِ من دواعي البهجة والسرور مع البساطة التامة ما لم اجدهُ اكثر منهُ في بيت آخر اما هو فكان اقدر الناس على ترك الاشغال العقلية في مكتبهِ والامتزاج مع اولادهِ في العابهم ومشاركتهم فيها كلها

وكصحافي مشتغل في امور الجمهور اقام لهُ اعداء كثيرين . وعندي انهُ استحقَّ عداوتهم استحقاقاً لانهُ كان خصماً عنيداً لا يشفق ولا يرحم . يحسب نفسهُ على هدًى دائماً وخصومهُ على ضلال فيحق لهُ ان يحاربهم بكل سلاح . وفي ما سوى ذلك لا اظن انهُ كان يمكنهُ ان يخاصم احداً . واني اعود بذاكرتي الى تلك الايام البعيدة فاجد ان كل احد من معارفهِ كان ينظر اليهِ نظر الحب والصداقة

وقال لورد اشر — التقيت بالمستر ستد اول مرة سنة ١٨٨٠ بعد الانتخابات العمومية ومن ثمَّ كثر اتصالي بهِ واقول من غير مبالغة انهُ لم تحدث حادثة عمومية مهمة من ذلك الحين الى الآن الاَّ وكان لهُ شأن فيها . ولو قيست خدمتهُ لامتهِ بما فعلهُ وقتما كانت الحرب بيننا وبين الروس على قاب قوسين او ادنى او بما فعلهُ لتعزيز الغيرة الحربية لوجب ان يوضع في مقام قلَّ بلغهُ احد من الذين اعترفت البلاد بخدمتهم العمومية اعترافاً عظيماً منذ ثلاثين سنة الى الآن

وكانت خدمتهُ للبلاد مستترة لا تفتر . ومن الغرائب المدهشة والموجبة للخجل ان رجلاً متفانياً في حب وطنهِ مثل ستد يبقى اربعين سنة يجاهد ويناضل في مصالح الوطن

لترقية كل ما هو شريف ونافع ولا ينال اقل علامة تدل على الاعتراف بفضله مات فقيراً لا مأجوراً ولا مشكوراً ولكنهُ مات غنياً باحترام ذوي العقول الشريفة لهُ ومكرماً من اعظم معاصريهِ

قلت مرة لجبران غوردون « اني اراك دائماً ماشياً مع الله » فقال « بعضنا يفعل ذلك هاك ستد » . وقال عنهُ الاميرال فشر « انهُ لم يكن يخاف الاَّ الله » وقال لي عنهُ سسل رودس في الايام الاولى من تصادقهما « انهُ اكبر وطني عرفتهُ — انكلترا بيتهُ وكل شبر من الارض تخفق فوقهُ الراية البريطانية وطنهُ »

ما من احد من ابناء هذا العصر ذاكر اناساً اكثر من الذين ذاكرهم ستد من اكبر كبير الى اصغر صغير . وما من احد وثق بهِ مكلومٌ اكثر مما وثقوا بهِ وما من احد احق منهُ بهذه الثقة . كان يكاشف باهم الاسرار فلا يفشي سرًّا منها ولو كانت لخصومهِ وكان جواداً يعطيك كل ما تطلبهُ منهُ واجود ما عندهُ . ولقد كنت اختلف معهُ في امور كثيرة وطالما عيرتهُ بتصديقهِ بعض الخادعين فكان يضحك ويقول قد يخدعني الناس ولكن عقلي لا يخدعني . وقلت لهُ مرة انك ستموت فقيراً معوزاً لانك تصدق هؤلاء الكذبة فقال قد تكون مصيباً ولكنني افضل الموت فقيراً على الاعتقاد بكذب الانسان

وقال لورد غراي — لقد كان من حظي ان عرفتهُ وصادقتهُ منذ اكثر من ثلاثين سنة وزرتهُ وهو في السجن فلم يكن يحجم في موقف اخطر بل كان يدافع عن الحق دواماً ولو عاد الدفاع عليهِ باشد الضرر او كما قال الدكتور كنفورد واجاد « كانت الصحافة سيفاً في يدهِ يقتل بهِ اعداء الحق ومنبراً يبثُّ منهُ الهمة والبسالة في نفوس جيوش الله . وقلما يشرح بهِ سياستهُ التي يراد بها تجديد الارض وتقريب السماء . كان يعلم انهُ مدعوٌّ لامر عظيم فاختار الصحافة وسيلة للبلوغ اليهِ فكان يكتب لكي يعمل الناس بما يكتب لا ليتحدثوا بهِ »

ولقد كنت اخالفهُ غالباً في آرائهِ ولكنني كنت دائماً انظر الى نياتهِ في خدمة وطنهِ نظر الحب والاحترام . وهو الذي بمقالاتهِ اضطرَّ غلادستون اعظم وزراء عصرنا الى اتفاق ستة ملايين من الجنيهات على تقوية العمارة البحرية وهو الذي اضطرَّهُ الى ارسال غوردون الى الخرطوم وهو الذي هدَّد الالمان بقولهِ انا نبني بارجتين كلما بنيتم بارجةً فذهب قولهُ مثلاً وجرت الحكومة البريطانية عليهِ . قال دزرائيلي في احدى رواياتهِ ان الذي يحكم العالم الآن ليس رجال السياسة ولا قواد الجيوش بل رجال صغار مختبئون في الزوايا اشارة الى رجال الصحافة ولقد كان استد ستد افضل مثال على صحة هذا القول

وقال لورد فشر — لقد كان ستد يعتقد اعتقاداً لا يخامرهُ ريب ان القوة للحق لا الحق للقوة (او كما نقول الحق يعلو ولا يُعلَى عليهِ) ولقد رأيتهُ مرةً يسير وحدهُ الى اجتماع اجتمع فيهِ الناقمون عليهِ فذهبوا من وجههِ مخذولين

كان يكره الدعوى واصحابها ويطعن كل زق فارغ وكل ذي ورم ليكشف الخداع ويشهّر باهل النفاق . وكان فوق ذلك متفانياً في حب وطنهِ ولو خالفني البعض في ذلك . ولا اجهل انهُ جعل البعض يحقدون عليهِ حتى قال لي واحد من اعز اصدقائي انهُ عزم مرة ان يقتلهُ

لما كنت ناظراً للبحرية حادث رجلاً عظيماً من الاجانب فقال لهُ ذلك العظيم « لا تخف » فاجابهُ ستد على الفور « عمَّا اخاف وكلنا بيتم بارجة بتينا اثنين » وكان هذا رأيهُ وهذا غرضهُ الذي بذل جهدهُ في تحقيقهِ لانهُ كان يعلم اننا اذا دارت الدائرة علينا بحراً سقطنا سقطة لا تقوم بعدها والبوارج لا تشترى في كل اوان كما يشترى رطل من السكر

والحقت مجلة المجلات اقوال هؤلاء العظماء بجدول تاريخي اثبتت فيهِ اشهر حوادث حياتهِ وقد اقتطفنا متنهُ ما يلي

١٨٤٩ ولد فيها في ٥ يوليو وابوهُ القس وليم ستد

١٨٧١ صار محرراً لجريدة الصدى الشمالي

١٨٨٣ جعل محرراً لجريدة البال مال

١٨٨٤ قابل الجنرال غوردون وحادثهُ الحديث الذي ادى الى ارسال غوردون الى السودان ونشر في السنوات التالية مقالات سياسية مهمة اهمها الخبر الصحيح عن البحرية

١٨٨٨ زار روسيا وقابل القيصر اسكندر الثالث

١٨٩٠ ترك البال مال وانشأ مجلة المجلات

١٨٩١ انشأ مجلة المجلات الاميركية

١٨٩٢ انشأ مجلة المجلات الاسترالية

١٨٩٣ زار معرض شيكاغو

١٨٩٨ زار روسيا ثانية وقابل القيصر نقولا الثاني وزار اكثر المواصم لاجل اذاعة مشروع القيصر في امر السلم

١٨٩٩ انشأ جريدة اسبوعية فاخفق وذهب الى جنوبي افريقية

١٩٠٥ زار روسيا وطاف فيها يخطب حاثًّا الناس على قبول الدوما

١٩٠٦ دبر زيارة المحررين الالمانيين لانكلترا

١٩١١ زار الاستانة في مسألة حرب طرابلس

وقد ذكرت في هذه الخلاصة اشهر المقالات التي انشأها وكان لها وقع عظيم في النفوس